المحاضرة السادسة: الآراء النقدية لطه حسين ، (دراسة في بعض مؤلفاته)

تحدث طه حسين على كثير من القضايا النقدية ، إذ تناولها بالشرح والتحليل والنقد ، إلا أننا سنبرز بعض منها :

1- الصدق الفني :

تحدث عنه عندما تطرق لما أسماه بالغلو في اصطناع الأساليب، بمعنى حمل النفس على الكتابة على منوال انتقائي للكلمات ،فجميع ما يكتب في هذا النوع يكون خلابا في المظهر أجوفا في التعبير، حيث قال طه حسين "الكاتب يحس بشيء ويقول شيئا وهو يشعر بشيء وينطق بشيء آخر..."، حيث رأى أننا إذا كنا لا نعيش في الخيام ولا نتخذ هذه الأدوات البدوية التي اتخذها الجاهليون فليس من سبيل إلى أن نشعر كما يشعر الجاهليون ، فاللغة يجب أن تكون ملائمة للحياة.

ويرى **طه حسين** أن هذه الأساليب نقص أدبي لأن اللغة ليست ملائمة للعصر الذي يعيش فيه الأديب وهو نقص خلقي لأنه كذب للكاتب على نفسه وعلى معاصريه.

2الذوق الأدبي:

تحدث **طه حسين** مطولا عن الذوق الأدبي خاصة بعد أن رأى رأي الرافعي فيه ،الذي يرى أن فهم الشيء يؤدي إلى تذوقه وهذا في إشارة منه إلى أن طه حسين لو فهم أسلوبه في العتاب لما نقده ،فرد عليه طه حسين بقوله: "ليس كل ما نتذوقه نفهمه فمثلا الموسيقى حيث قال: أن هناك الكثير من الذين يسمعون الموسيقى فيطربون ويتأثرون لكنهم لا يفهمون الموسيقى كالأخصائيين".

3العلاقة بين القديم والجديد:

اتخذ من اللغة معيارا للمقارنة بينهما وقبل التطرق لهذا علينا أولا أن نعرف كيف يعرف طه حسين اللغة حيث يقول: "اللغة ظاهرة من ظواهر المجتمع الإنساني، لم يصنعها الفرد بعينه ولا جماعة بعينها وإنما اشتركت في وصفها الأمة...". ويرى أن هناك أسباب تجعل تجدد اللغة محتوما **الأول**: أن لحاجات الأمة والظروف التي تحيط بها أثرا قويا في تكوين اللغة حيث قال: "فإذا أردت ألا تتجدد اللغة ولا تتطور فابدأ بنفسية الأمم وأوقفها عند حد معين...".أما **الثاني**: أن اللغة تتكيف وشخصية الإنسان وتعبيره عن حاجياته ، فهو يرى أن الشاعر لا يعبر عن أحاسيسه كما يعبر عامة الناس.

وقال في ذلك: "فإذا أردت أن تحول بين اللغة وبين التجدد فابدأ بشخصية الأفراد فامحها محوا تاما حتى يستوي الناس جميعا في الحس والذوق والفهم والشعور...".

4-ماهية الأدب والنقد:

قام طه **حسين** بتقديم تعريف للأدب فهو حسبه "صورة لنفس ما أو لحياة اجتماعية ما" وقال في موضع آخر إن الأدب "هو نحو من تمثيل الحياة الاجتماعية والنفسية وضرب من الإعراب عن أسرار الكون والوجود".

أما النقد فرأى أنه "حاجة طبيعية لكل حركة علمية أو أدبية أو فنية".

5 - رأيه في الشعر:

أن الشعر الصادق هو الذي يمثل شخصية صاحبه وعواطفه ، ويكون ساميا إذا استطاع أن يبلغ من القلب الحساس موضع التأثير ، حتى ولو لم يستعن بالخيال .

6-اللفظ والمعنى: يرى طه حسين أن الشعر ليس معنى وحده فاللفظ كذلك مظهر من مظاهر الجمال حيث قال: "ومهما يكن حظ الشاعر من إجادة المعنى وتصحيحه وتحقيقه والبعد به عن الخطأ والارتفاع به عن الإحالة فهو لن يظفر بإعجاب الناس إلا إذا استطاع أن يجلو لهم هذا المعنى في لفظ رائع خلاب...".

7-الإلهام: تحدث **طه حسين** عن باعث الكتابة الذي يتمثل في **الإلهام** ،حيث قال: "ولست أزعم أن إرادة الأديب ملغاة في إنتاجه إلغاء تاما ولكني أزعم أن تأثير الإرادة ضئيل جدا لا يكاد يذكر، وأن المقدار الشعوري في إنتاج الأدب أعظم من المقدار الشعوري.

8-طبيعة النقد: يرى **طه حسين** أن الأدب يجب أن يكون حرا طليقا ،والنقد يجب أن يكون على طبيعته، إذ عرف الطبيعة بقوله:" هي مجموعة من المؤثرات الظاهرة والخفية التي تعمل على تحقيق ما يصبو إليه الناقد".

ويقصد بهذا أن النقد لا يجب أن يبقى حبيس الناقد وأن يذكر محاسن العمل ويثني عليه ، وفي المقابل يغض الطرف عن مساوئه وما نقص فيه ،فلا يوجد أدب كامل.

تطرق طه حسين إلى النقد الذي يعتبره رسالة والناقد الحق ،الذي يفصح على مكنون هذه الرسالة ويحل هذه الشفرات لتصل إلى القارئ في قالب بسيط يستوعبه ويفهمه يقول: "النقد يبلغ إلى الناس رسالة الأديب صدى رسالتهم في النفوس وحسن استعدادهم لها أو شدة ازورارهم عنها أو فتورهم بالقياس إليها ،ولعله يبين للأديب أسباب إقبال الناس عليه إن كانوا مقبلين ويخفف إعراضهم عنه، فهو الرسول الحكيم بالقياس لأنه يدل الناس على ما يحسن أن يقرءوا وينصح بذلك للأديب بما يزيد إقبال الناس عليه إن كانوا مقبلين ويخفف إعراضهم إن كانوا معرضين ،ويدله على الخطأ إن وقع فيه ليجتنبه وعلى الصواب إن وفق إليه ليستزيد منه...".

كما يقول أيضا: إن النقد الأدبي لا ينشئ نفسه ولا يقوم بالرسالة في الهواء بين الأديب وقرائه ، إنما ينشؤه إنسان أديب له في أكثر الأحيان ما للأديب المنتج من الخصال المحمودة أو المذمومة ،فما أكثر ما يخيل الناقد إلى نفسه وما أكثر ما يخيل إلى الناس أنه لا ينقد هذا الكتاب أو ذاك إلا لنفسه لا رغبة في النقد إيثارا له وإرضاء لميله الطبيعي إلى أن تستقر أمور الصواب أو الخطأ وأمور الإحسان والإساءة الفنية في نصابها .

هو في الحقيقة ينقد لنفسه وللناس كما ينتج المنشئ لنفسه وللناس ،ولأنه فعل إيجابي إذا أردت الإيجاز. يقول : "الناقد الخليق بهذا الوصف له مزايا الأديب الخليق بهذا الوصف وعيوبه لا يكادان يفترقان إلا في أن أحدهما هو الأديب ،يتخذ طبائع الأشياء وحقائقها مادة لأدبه وموضوعا لإنتاجه ،على حين يتخذ أحدهما الآخر، وهو الناقد صور الأشياء ونماذجها أي الأدب نفسه مادة للنقد وموضوعا.

يرى في آخر الأمر أن الناقد أديب بأدق معاني الكلمة، والنقد آخر الأمر أدب وربما أتيحت للناقد مزايا لا تتاح للأديب المنشئ ،فالناقد مرآة لقرائه كالأديب والقراء مرآة للناقد، كما أنهم مرآة للأديب أيضا ،لكن الناقد مرآة صافية واضحة جلية كأحسن"[1].

وعليه ، فإن الناقد الحق عند طه حسين هو من لا يبتغي النقد للنقد ، و'نما يدعوه إليه حبه للحق ليجعله يعلو على الباطل ، وكأن وظيفة النقد الشاقة هذه هي تمحيص العلم والأدب والفن.

9- ومن الآراء النقدية لطه حسين أيضا نجد :

أنه عاب على الدراسات النقدية الأولى التي آلت إلى اهتمام أصحابها الشديد بشخصيات الشعراء وعدم اهتمامهم بالنص إلا فيما يخدم شخصية الشاعر، وعاب على الدراسات المتأخرة التي اعتمدت على منهج التحليل النفسي تطبيق أصحابها لهذا المنهج على القدماء من الشعراء وأجاز تطبيقه على المعاصرين ،لأنه يرى أن دراسة الشعراء القدماء على وفق منهج التحليل النفسي لا تحتمل التمحيص والدقة التي يتطلبها تطبيق هذا المنهج عليهم،لأننا لا نفرق من حقائق حياتهم إلا قلها وأيسرها .

هذا من المآخذ التي أخذها طه حسين على نقاد هذا الاتجاه والنويهي والعقاد خاصة في دراستهما عن أبي نواس، فقد قال عنهما أنهما لم يحللا أبا نواس الشاعر وإنما حللا أبا نواس الأسطوري أو الرمزي ،يقول حتى لو أن نقادنا اعتمدوا على أوثق الأخبار والأشعار في

---

[1] طه حسين مع المجموعة الكاملة ،الأدب والنقد المجلد الخامس ، دار الكتاب، لبنان، بيروت، مكتبة المدرسة، 1915، 342

تحليلهم لشخصيات الشعراء القدامى، فإنه ينبغي أن نتذكر دائما أن التحليل النفسي لشخصية الأديب بواسطة آثاره لا يمكن أن يصل إلى نتائج يقينية كالتي يمكن الوصول إليها بالتحليل المباشر للشخصية"[1].

ملاحظة:

أهم المراجع : حديث الأربعاء لطه حسين.

عزالدين الأمين :نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر .

[1] الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، أحمد حيدوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، ط1، ص145.